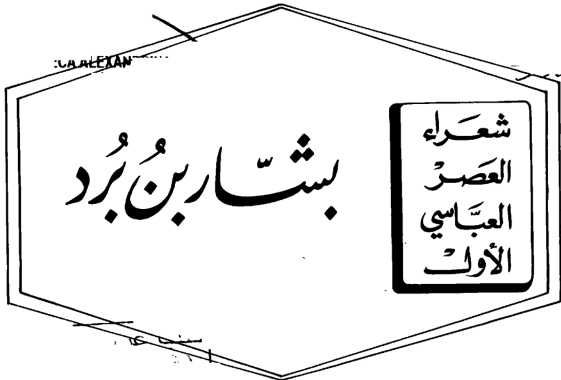
تاريخ شعراء العربية





مراجعة وتدقيق
أحمد عبد الله فرهود

إعداد وشرح
لجنة التحقيق في دار القلم العربي



منشورات

دار القلم العربي بحلب

الطبعه الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

عنوان الدار

سُورِيَة - حَلَبْ - خَلفَ الفُنْدُقِ السِّياحِي

شارع هدى الشِعْرَاوِيْ .

هاتف / ٢١٣١٢٩ / ص.ب /٧٨/ فاكس ٢١٢٣٦١، ٠٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

مولده ونشأته

وُلِدَ بشّارُ بن بُرْد في البصرة أَكْمَهَ (١) ، ونشأ في بني مواليه من بني عقيل القيسيّين ، وتبدَّى (٢) لنَهْلِ اللغة الفصحى ، ثم خاض في مراء (٣) المعتزلة ونَسَجَ على منوالهم ، غير أنه اختلف مع بعض رؤسائهم فيما بعد ، من أمثال واصل بن عطاء . وقال واصل في إحدى خطبه : أمَا لهذا الأعمى المُلْحِد المشنَّف (٤) المكنّى بأبي معاذ مَنْ يقتله ؟

فقد نقموا عليه مجانَته ، وغزله الفاحش ، وآراءه المتطرّفة ، حتى أباحوا دمه .

داعيةُ فسَاد

كان بشارٌ داعيةَ عُهْر ، وبوقَ فساد ، يهتفُ لعناصر الشّرّ ومنازع الخطايا في الإنسان ، ليستثيرها ، ويجعلها محور حياته ، يقول :

---

(١) أكمه : أعمى منذ الولادة .

(٢) تبدّى : خرج إلى البادية .

(٣) مراء : جدل .

(٤) المشنف : الذي له قرط في أذنه .

مَنْ راقبَ الناس لم يظفر بحاجتِهِ وفاز بالطيّباتِ الفاتِكُ اللَّهِجُ (١)

وقال أيضاً :

لا يُؤْيِسَنَّكَ مِنْ مُخبَّأةٍ قولٌ تغلِّظُهُ وإنْ جَرحا
عُسْرُ النساءِ إلى مياسرةٍ والصَّعْبُ يمكنُ بَعْدَما جمَحا

ومن يقرأ قصائدَه ، مثل الرائية :

قد لامني في خليلتي عمر ....

والرائية الأخرى :

عجبتْ فطمةُ من نعتي لها ....

يدركْ مدَى اجتراء هذا الشاعر على التّصوير الحسّيّ الفاضح .

شعوبيته وزندقته

نفّر الناسَ عن بشار أيضاً شعوبيته وزندقته ، فقد كان يميل إلى الفرس ويُؤْثِرُهم على مَنْ سواهم ، ويردّد أحياناً آراء المجوس وعقيدتهم ، فيقول :

إبليسُ أفضلُ مِنْ أبيكم آدمٍ فتنبّهوا يامعشر الفُجّارِ
النارُ عنصرُهُ وآدمُ طِينةٌ والطِّيْنُ لايسمو سُمُوَّ النَّارِ

---

(١) الفاتك : الذي يُوْقع بخصمه . اللّهج : الذي يصرّح بما يريد .

ويقول أيضاً :

الأرضُ مُظلمةٌ والنَّارُ مُشرِقَةٌ   والنّارُ معبودةٌ مُذْ كانت النّارُ

ملامحه

كان بشّارٌ ضخماً ، عَظيمَ الخَلْق ، كبيرَ الوجه ،مجدوراً ، طويلاً جاحظَ المُقْلتَيْنِ ، يُغَشّي عَيْنَيْه لحمٌ أحمر .. وكان إذا أرادَ الإنشادِ صفّقَ بيديه وتنحنح ، وبصقَ عن يمينه وشماله ، ثم ينشد ، فيأتي بالعَجب (١) .

أصله وأسرته

وُلِدَ بشَّارُ بن بُرْد بن يَرْجوخ في البصرة ، وجدُّه يَرْجوخُ مِنْ طُخارستان ممَّن سباهم المهلَّب بن أبي صفرة والي خرسان (٧٩ - ٨١ هـ) . ومن أجل ذلك نشأ ابنُه بُرْدٌ على الرّقّ . وكان أوّلاً في عِدادِ رقيق خيرة القشيرية امرأة المهلّب ، ثمّ وهبْته لامرأة من بني عُقَيْل ، وفي مُلْكها وُلِدَ له بشارٌ على الرّقّ ولم تلبث العقيلية أن أعتقت برداً ، وبذلك عُدّ هو وابنه في موالي بني عقيل . وقد نَسَبَ نفسه من جهة أمّه إلى الروم ، إذ يقول :

(١) الأغاني ٣/٣٨ و ١٤١ .

وقيصرٌ خالي إذا عَدَدْتُ يوماً نسَبي

فإنْ صحَّ ذلك كان فارسيَّ الأب ، روميّ الأمّ . وكانت أمّه تُدْعى غزالة .

وكان بُرْدٌ طَيَّاناً يعيش مِنْ ضرب اللبن ، معيشةً تقوم على الشَّظَف وكان له أخوان بشر وبشير ، وكانا قصَّابَيْن يبيعان اللحم ..

وكان لبشار امرأة تدعى أمامة ، وهو يُكثِرُ في أشعاره مِنْ ذِكْر أطفاله الصغار يستعطف بهم ممدوحيه حتى يُضاعفوا له الجائزة . ومات له ولد اسمُه محمّد ، وبنْت صغيرة .

ابتداؤه الشعر بالهجاء

لم يكد بشار يبلغُ العاشرة حتى أخذَ يَنبوعُ الشعر يسيلُ على لسانه . وكان الهجاءُ حينئذ يضطرم في موطنه اضطراماً، إذْ كانت النقائض مستعرةً في مربد البصرة ، فكان غيرَ مستبَعد أن يخوضَ في الهجاء ، وقد أسرف فيه حتى صار الناس يشكونه لأبيه ، فيضْرِبُه على هجائه ، وكانت أمّه لاتزال تستعطفُ زوجها بُرْداً ، فيقولُ لها : إني لأرحمُه ولكنه يتعرّضُ للنّاس . فقال بشار لأبيه : إذا جاؤوك يشكونني فقل لهم : أليسَ الله يقول : (ليس على الأعمى حرج) فلما عادوا إلى بُرْد يعيدون شكواهم تلا عليهم الآية ، فانصرفوا وهم يقولون : فِقْهُ بُرْدٍ أَغْيَظُ لنا من شعر بشار .

مقتله

هرَبَ بشّارٌ من البصرة اتّقاء وعيد العلماء له ، بسـبب إباحيّتـه ، وصـارَ يمدُح الحكّام ليكونوا لـه عَضُـدَاً ، ويمتـاحَ مـن عطـائهم ، حتـى إذا كـان عصـر المهديّ سعى بشار حتـى استطاع أن يتّصـل بـالبَلاط ، ومـدح الخليفـة المهـديّ فوصله بعشرة آلاف درهم ، ووهب له عَبْداً وقَيْنةً (مغنّية) وخلَـع عليـه خِلَعاً كثـيرة وجعلـه مـن سُـمّاره ومَـنْ يحضـرون مجالسـه . وكـان في المهـديّ اهتمـامٌ بشؤون الدِّين ، وانتهى إليه من غير وَجْهٍ أنّ بشاراً يفسدُ النّساء والشَّبابَ بغزلـه المكشوف ، فأمره أن يكفّ عن ذلك ، وكفّ بشار على مضضٍ ، وأخذ يـردِّدُ في أشعاره أنّه ترك الغزل والنَّسِيب ، نزولاً على إرادة الخليفة ، مثل قوله :

يامنظراً حسَناً رأيتُـه — مِـنْ وَجْهِ جـاريـةٍ فديتُهْ
بعَـثَتْ إلـيَّ تَسُومُني — بُـرْدَ الشبـاب وقد طويتُـه
والـلـهِ ربِّ مـحـمَّـدٍ — ما إنْ غـدرت ولا نـويتُهْ
إنَّ الـخليفـةَ قـد أبـى — وإذا أبـى شـيئـاً أبَـيْـتُهْ
ونـهانِيَ الملكُ الهُمـام — عن النَّسِيبِ وما عصيتُـهْ

ولكنّه لم يكفّ عن غزله . ثم ترامتْ إلى الخليفة أنباء زندقته ، وماكـان يغرق فيه مِنْ مجون ، فحرمه جائزته ،ولانَصِلُ إلى سنة ١٦٦ هـ حتى يتعقّب المهديُّ الزنادقة ويقتل منهم خَلْقاً كثيراً ، ويلزمُ بشارٌ البصرةَ إشفاقاً علـى نفسـه

غير أنّه لايصمت ، بل يأخذ في رثاء أصدقائه الذين يُقتلون على الزندقة ويهجو المهدي ووزيره يعقوب بن داود هجاء مقذعاً ، ويقدُم المهدي إلى البصرة في سنة /١٦٨/ ، فيشهد أمامه شهودٌ موثّقون بأنّ بشاراً زنديق ، حينئذ يأمر بقتله . فقُتل عام /١٦٨/ هـ .

هل كان بشّارٌ مجدِّداً

كانَ بشّارٌ ألمعَ شاعر في عصره ، وأضخمَ صوتٍ في هذا الفنّ ، في فاتحةِ العصر العباسي ، وأدّى سبقُه الزّمني إلى وَهْم بعض الدارسين أنّه كان رائدَ الشعراء في العصر العباسيّ ، حتى في فنّه وأسلوبه ، وكأنّهم ظنّوا أنّ انقلاب السياسة لابدّ أن يتبعه انقلاب الفنّ ، وكلُّ ذلك خطأ ، فبشّار أوّل الشعراء العباسيّين ، ولكنّه ليس رائدَهم في هذا المضمار ، وقد كانَ ثمّة شعراء كثيرون عاشوا في تلك الآونة ، وكلّهم كانوا يخالفون مذهبَه الأدبي .

لقد رأى بعضُ النّقّاد بشّاراً يتَغزّل غزلاً حسّيّاً ، ووجده يصرّحُ بآرائه الشعوبيّة والهدّامة والفاسقة ، فقالوا هذا مذهب جديد ، وصاحبُه رائدٌ فيه . وكأنّهم لم يتساءلوا ألَمْ يطرقْ أحدُ سابقيه هذه الأغراض ؟ أوَ لَمْ يسبقْه في الغزل الفاحش امرؤ القيس ، وفي الشّعوبية والزندقة لفيفٌ من شعراء الموالي في ذلك العصر ؟ (١)

---

(١) اقرأ في هذا الموضوع كتاب الصراع الأدبي بين العرب والعجم للدكتور محمد نبيه حجاب (المؤسسة المصرية العامة سنة ١٩٦٣) .

بشارٌ مسبوقٌ إذاً في أغراضهِ ، ولايخوّله أنْ ذَكَرَ بعضَ أشياءَ مـن عصـره أنْ يعّد مجدِّداً ، ففي ديوان كل شاعر أشـياءُ مـن هـذا القبيـلِ تجدُهـا عنـد غـيره وأسلوبُ بشار الذي عرض فيه موضوعاته قديم معروف منذ الجاهليـة . وبشـار من أتباع ذلك المذهب القديم في الشعر .

المديح والفخر

يعد المديحُ أهمَّ غرضٍ وصل بشاراً بالـتراث القديـم ، فقـد حـافظ فيـه محافظةً شديدة على طريقته الموروثة ، سواءٌ من حَيْثُ جزالةُ الصياغـة ورصانتُهـا ومتانتُها ، أو مِنْ حيث المنهج الذي سار عليه القدمـاء ، إذ كـانوا يقدّمـون بـين يديـه وصـفَ الأطـلال والنسيب والغـزل ووصـف الناقـة ورحلتهـم عليهـا في الصحراء ، مستطردِين إلى وصف بعض مشاهد الطبيعة الصحراوية والحيـوان .

ثم يخرجـون مـن ذلـك إلى المديـح ، فيشـيدون بمـآثر الأفـراد والقـبائـل ناثرين في أطراف قصائدهم بعض الحِكَمَ .

وكلُّ ذلك احتذاه بشار في كثير مـن مدائحـه ، بـل لقـد احتـذى أيضـاً معاني القدماء وأخيلتهم ، وبلـغ مـن شـدّة هـذا الاحتـذاء عنـدَه أنْ نَظَـمَ بعـض مدائحه على غِرار أراجيز رؤبة مُكْثراً فيها من الغريب الوحشي على نحـو مـاهو معروف في أرجوزته :

ياطَلَلَ الحيِّ بذاتِ الصَّمَدِ

وإذا تركْنا إطار المديح ومقّدماتِه إلى معانيه التي ساقها في وصف الخلفاء والولاة وجدْناه يخلع عليهم من الشِّيمَ والقيَمِ ماكان يخلعُه الجاهليون والإسلاميون على ممدوحيهم من الكرم والمروءة والشجاعة والنجدة وإباء الضيم وكان الإسلاميون من أمثال جرير والفرزدق قد لاحظوا الفرق الحادث بين مَنْ يمدحونهم من الخلفاء والولاة وبين سادة القبائل في الجاهلية ، وأسبغوا عليهم كثيراً من الصّفات الدينية والزمنية (الدنيوية) ونرى بشاراً يقتدي بهم ولاسيمّا في مديحه للمهدي . وكان طبيعياً أنْ يستمد معظم معانيه في المديح من القدماء ، وهذا نفسُه يلاحظ على مقّدماته الطّللية والغزلية .

بائية بشار

مَدح بشارٌ بهذه القصيدة يزيدَ بن عمر بن هبيرة والي العراق ، بعد انتصاره على الخوارج الذين استولوا بزعامة الضّحّاك بن قيس الشيباني على البصرة ، فاستردّها منهم يزيد ، وهو يستهلّ قصيدته بالنسيب ، على شاكلة الجاهليين ، فيقول :

جفا ودُّه فازورَّ أو ملَّ صاحبُهْ ... وأزرى به أنْ لايزال يعاتبهْ (١)
خليليَّ لاتَستنكرا لوعةَ الهوى ... ولاسلْوةَ المحزونِ شَطّتْ حبائبُه (٢)
شفَى النفسَ ماتلقَى بعَبْدةَ عينُه ... وما كان يَلْقَى قلبُه وطبائبُهْ (٣)

---

(١) ازورّ : انحرف . أزرى به : حطّ من قدره ، عابه . (٢) شطّ : بَعُدَ .
(٣) الطبائب : جمع طِبّة ، وطبيبة ، وهي الجلْد .

فقد صرم خليله حبل مودته ، وتنكب سبيل محبته وسئمَ مُعاشِرَه الذي طالما لجّ في معاتبته ، ويخاطب الشاعر صاحبين له على طريقة القدماء ، ويطلبُ إليهما ألاّ يَسْتنكرا أمرين ، أولّهما بتاريح الحبّ والآخرُ تَسَلّي الكَمدِ المحزون عمّن فارقَهم .

وكلُّ هذا ينطبقُ على عبدةَ ، فهو ملتاعٌ بحبّها، متألّم ، جفاه الكرَى ، مع ذلك يخبرنا أنّ حدّة هُيامه قد خفّتْ ، وإن لم يكنْ قد نسيها نسياناً تاماً ، فما زالتْ ذكرياتُها تعاوده :

فأقْصَرَ عِزْرَام الفؤاد وإنّما　　　يميلُ به مسُّ الهوى فيطالبُهْ (١)

ثمّ يذكر بعض آداب الصّداقة ، ويبثّ خلالَ ذلك شيئاً من الحكم . فحذارِ إن كان لك أخ قد ارتوى من كأس حبّك ثم حلَّ ميقاتُ سفره أن تحولَ دون هذا السفر ، أو تَعْلَقَ به ليصحبَك في ترحاله . وإنَّ أخاك الحقّ مَنْ إذا لَفَتَّهُ إلى منقصة فيه قَبِلَ منك نُصْحَك ، وإذا عاتبتَه قَبِلَ عتابك ، هذا من ناحيته هو أمّا من ناحيتكَ أنتَ فَإيّاكَ أنْ تتمادى في معاتبته ، واعلمْ أنك أمامَ خِيارَيْن اثنين :

أن تعيشَ وحيداً فريداً لاصديقَ لكَ ، أو تصلَ صاحبَك الذي يُخطِئُ مرّةً ، ويصيبُ مَرّةً . ولن تجد صديقاً معصوماً من كلّ الأخطاء ، ومثلُ ذلك كمثل الماء ، فإنْ أنتَ أصررْتَ ألاّ تشربَ إلا عَذْباً وجدتَ نفسَك مضطراً اضطراراً في بعض الأحيان أن تتعاطى الماء المشوب ، وحسْبُكَ أن ترى صديقاً تُحْصَى أخطاؤه :

---

(١) عزرام : قوّة .

إذا كـان نوّاقاً أخـوك من الهوى مـوجّـهةً فـي كـلّ أوْبٍ ركائبُهْ (١)
فـخَـلِّ لـه وجـهَ الفِراقِ ولا تكنْ مَطيَّةَ رحـالٍ كثيـرٍ مـذاهـبُه (٢)
أخـوكَ الـذي إنْ رِبْـتَهُ قال إنَّما أربْـتُ ، وإنْ عاتبْتَهُ لانَ جانبه (٣)
إذا كـنتَ فـي كلّ الأمـور معاتباً صديقَك لم تَلْقَ الذي لا تُعاتبُه
فعِشْ واحداً أو صِلْ أخاكَ فإنَّه مقـارفُ ذنبٍ مـرَّةً ومُجانبُهْ
إذا أنتَ لم تشربْ مراراً على القذى ظمئتَ وأيّ الناس تصفو مشاربه (٤)
ومن ذا الذي تُرضَى سجاياه كلُّها كفى المرءَ نُبْلاً أنْ تُعَدَّ معايبه

ثمّ يعزم بشارٌ على الرحيل من البصرة ، اجتناباً للعاصفة الوخيمة فيفارقها في يوم شديد الحرّ ملتهب القيظ ، ويمضي على بعير ضَخْـم عالي السَّنام سريع الحركة . ومازال يقطع الصحارى والأودية حتى بلغ بني عيلان ، قوم ممدوحه يزيد بن مزيد ، وقوم مروان بن محمد الخليفة ، وقوم بني عقيل الذين هم مواليه وكل ذلك جعله يخرج عن المدح أحياناً فيفخر ، على شاكلة قوله :

---

(١) أوْب : جهة . ركائبه : دوابّه التي يرحل عليها .

(٢) رحّال : مسافر . مذاهبه : أسفاره .

(٣) رابَه جعله يشكّ . أربْت : أزلْتُ الشكّ . أي إذا بدر منك ما يثير الريبة التمس لك عذراً ، وحسّن فيك الظنّ .

(٤) القذىْ : ما يطفو على وجه الماء من قشّ ونحوه .

وجيشٍ كجُنْحِ الليل يزحفُ بالحصى وبالشّوكِ والخَطّيّ حُمرٍ ثعالبُه(١)
غدونا له والشمسُ في خِدرِ أمّها تطالعُنا والطَّلُّ لم يَجرِ ذائِبُهُ(٢)
بضربٍ يذوق الموت من ذاق طعمَه وتدركُ مَنْ نجّى الفرارُ مثالبُهُ (٣)
كأنّ مُثارَ النَّقْعِ فوق رؤوسِنا وأسيافَنا ليلٌ تهاوى كواكبُهْ (٤)
بعثْنا لهم موتَ الفُجاءةِ إنّنا بنو الموتِ خفّاقٌ علينا سبائبُهْ (٥)
فراحوا فريقٌ في الإسار ومثلُه قتيلٌ ، ومثلٌ لاذَ بالبحر هاربُهْ

وهو يصفُ جيشاً عرمرماً يشبه بآلاته سواد الليل ، ويماثلُ في كثرة عدده الحصى وهو جيش مثقل بالعتاد ، وبالرماح التي مازالت عليها آثار الدماء وقد تصدَّوا له عند الصُّبحْ ، قبل أنْ يجفَّ الندى ، وأعملوا فيه ضرباً يُرْدي مَنْ يُصيبه ، ويضطرُّ الخصوم إلى الفرار ، والوَصْمِ بالجُبْن ، لقد كانت معركة حامية غطّى سماءَها غبار الحرب بقتامه ، فبدت السيوف في لجتّه وهي تختَلي الرؤوس مثل كواكب تتهاوى في سماء الليل .وهكذا أصاب أعداءهم الموت المفاجئ بأيدي قيس أبناء الموت ، وحملة راياته ، وانتهت المعركة بنصرهم وخسارة أعدائهم ، إذْ أُسِرَ فريق منهم ، وقتل فريق ثانٍ ، ولاذ فريق ثالث بالفرار .

---

(١) جنح الليل : الطائفة منه . الشوك : السلاح . الخطّيّ : الرماح . الثعلب : طرف الرمح الداخل في السِّنان .

(٢) الخدر : حجرة خاصّة بالمرأة

(٣) مثالبه : معايبه ، أي فتكاته .

(٤) تهاوى : تتهاوى .

(٥) سبائبه : أعلامه .

ولبشّار لسانٌ لأيطاول في الافتخار العريض ، والتبجّج المستكبر والمبالغة في الاعتداد والاستعلاء ، يقول في قصيدة أخرى :

إذا ماغضبْنا غضبةً مضريةً هتكْنا حجابَ الشمسِ أو نُمْطِرَ الدّما
إذا ما أعرْنا سيّداً من قبيلةٍ ذُرا منبرٍ صلّى علينا وسلّما

وما أشبهَ عنجهيّة بشار بعنجهية عمرو بن كلثوم وهو يقول :

إذا بَلَغَ الفِطام لنا صبيٌّ تخرُّ له الجبائرُ ساجدِينا

الرثاء

لم تُؤْثَرْ لبشارٍ مراثٍ كثيرة ، وربّما رجع ذلك إلى أنّه كان منغمساً في اللهو ، وأن نفسَه لم تكن مفطورة على الحزن ، ومع ذلك فإننا نجد الموت يهز نفسه هزّاً حين فقَدَ ابنه محمّداً، وفيه يقول :

أصيبَ بُنَيِّيَ حين أورقَ غصنُهُ وألقَى عليّ الهمّ كلُّ قريبِ
وكان كريْحان العروس تخالُه ذوى بعدَ إشراقِ الغصونِ وطيبِ

الغزل

شُهِرَ بشار بالإكثار من الغزل ، وكان يخوضُ في كلِّ أنواعه الماديّةَ والمعنوية ، ولكنّ الغالب عليه الغزل الحسّي ، وبما أنّه كان كفيفاً فقد كان يغازل بطريق السمع لا بالنظر ، ويقول :

يا قومُ أذني لبعضِ الحيِّ عاشقةٌ ... والأذنُ تَعْشَقُ قبل العين أحياناً
قالوا بمَنْ لاتَرى تهذي ؟فقلتُ لهم ... الأذنُ كالعين تُوفي القلبَ ماكانا

واقرأ في هذه القطعة أيضاً :

يا ليلتي تزدادُ نُكْرا ... مِنْ حُبِّ مَنْ أحْبَبْتُ بِكْرا
حَوْراءُ إنْ نظرتْ إليكَ ... سقتْكَ بالعَيْنينِ خَمْرا
وكأنَّ رجعَ حديثِها ... قِطَعُ الرياض كُسِيْنَ زهرا
جِنيَّةٌ إنسيَّةٌ ... أو بَيْنَ ذاك أجلُّ أمْرا

وواضح في هذه القطعة أثر فقدِهِ لبصره ، فإنّه لايكاد يرتفع عن نطاق الحسّ .

خاتمة

كان بشارٌ يتمسَّكُ بالتراث الفنّيّ وأصوله القليدية ولكنه لملازمته مجالس الغناء أكثر من النظم على البحور المجزوءة ، كما نظم في الرباعيات وفي المزدوج والمسمّطات ، غيرَ أنّه ظلّ محتفظاً للغة الشعر بأساليبها الجزلة الرصينة ، في الأغراض الرسميّة ، ويرقّ أسلوبه ويلين لدى نظمه في الغزل والموضوعات العاطفيّة .